التربية والميتدولوجيا

د.محمد طه
أستاذ مساعد ورئيس قسم اللغة العربية،كلية م س م ،
كايمكولالم، ولاية كيرالا،الهند

التربية عملية متجددة ومتطورة تتفاعل مع التراث الانساني ماضيا وحاضرا ومستقبلا . فهي تعكس فلسفة المجتمع وأفكاره وطموحاته و قيمه واتجاهاته . التربية في العصر الراهن ليست مجرد تحصيل المعرفة فقط أو الوقوف على المعلومات الجديدة بالنسبة الى الطلبة . فالتربية بالمعنى الحديث تعني تكامل كل المعارف والمهارات والاتجاهات والأفكار. إن التربية العلمية الفعالة هي التي تعكس في أهدافها وأساليبها التعليمية اهتماما بتعليم التلاميذ والطلبة بقدر معين ومناسب من المعرفة العلمية الوظيفية . وإن مهارات التفكير واتجاهاته وتطبيقاته كلها هي الغايات الشاملة تحققها التربية بالمدرسة ، التي تقوم على تنفيذ فلسفة التربية في الميدان التربوي .

تعد التربية من أهم الأنشطة القديمة التي تولى الأفراد والمجتمعات . وإن هذا النشاط يختلف بإختلاف مفاهيم التربية نفسها وباختلاف وظائفها وأهدافها . وهي تختلف من مجتمع الى آخر ومن مفكر تربويال آخر .

يقول ″ زيز ″ إن مصطلح المنهج بمعناه الأكثر شيوعا يستخدمه المختصون على أنه خطة لتربية المتعلمين ، وعلى أنه حقل دراسي معين . ويشير ″ كيلي ″ الى ضرورة التمييز في استخدام كلمة منهج من أنها تعني محتوى المادة الدراسية أو مجال دراسي معين ، ومن أنها شاملة للبرنامج الكلي للمؤسسة التربوية .[١]

الميتولوجيا تتألف من (method) التي تعتد منهجا أو طريقة و ((logos التي تعني نظريته أو علما وتسمي علم المناهج والميتدولوجيا فرع من فروع المنطق يبحث في مناهج العلوم المختلفة وفي الطريق والأدوات التي تستخدمها هذه العلوم للوصول الى نتائجها .

تعد ″ مناهج البحث methodology الهادفة الى الكشف عن الحقيقة العلمية الكامنة وراءظواهر الطبيعة والإجتماعية موضوعا لعلم يعرف ب علم مناهج البحث أو اختصارا علم المنهج . ويتطلق هذا التحديد المختصر لعلم المناهج الى حد كبير مع معناه اللغوي عبارة عن ترجمة اللفظية الإنكليزية .[٢]

ان الميتدولوجيا فهو عنوان متهم بين الأساتذة والطلبة . الآن يعتقدون أن الميتدولوجيا فهي

الأمور التي تنتمي الى التعلم أو التعليم أو البحث . يتناول هذا العنوان عامة في الإطار التربية فقط . وإنها صارت نظرياتها الآن متغيرة لأن المجتمع في حقول التربية يرونها اما كيف يتعلم واما كيف يعلم أواما كيف يبحث .

الإمام الغزالي والمتدولوجيا

والعالم يجري في حين وآن للتقدمات والتطورات في كل إطار . فينتظر العلماءوالباحثون في الدروب التربية للنتيجة الناجحة تنفع لترقيات الطلبة وتطوراتهم . وإن المكشوفات في العالم تنسج جلدا جديدا جيدا بالخيوط الذهبية في التاريخ . وكذا ينير كل من ساروا في هذه النطاق مصباحا مضيئا . وقد شاهدنا في العصر المعاصر قوانين أنيقة ونظرات دقيقة التي التفت أنظارنا اليها في كل نطاق لاسيما في التربية . والتربية تغير العالم وتحوله الى مدى الأفق وتغير الجيل الى الجيل . وأما الجيل الذي ليس فيها تقدمات وترقيات فيقاس على البيوت النخرة والديار الخراب . فأمامقياس تطورات المجتمع فإنما هي التربية وحدها ايا كانت دينية أو دنيوية

قد صار جميع العالم البشري اليوم كقرية كونية صغيرة جدا بفضل تقدم العلم والتكنولجية الحديثة . ولذا كل سلطة أو حكومة التي تنفذ مسؤوليتها الصادقة للمجتمع لابد أن تتولى مراعات الأهداف الأساسية والثقافية . فلا تحول الأحوال والأوضاع الا بالخطوة الأساسية الحاسمة . وللحكومة مسؤولية ثقيلة لوضعالخطوط الصحيحة لرفع مستوي المجتمع .لأن سحنة المجتمع تعكس في التربية . سعادة المجتمع وشقاوتها تعتمد على التربية فقط .

أما الإسلام فيقدم قوانين ضليعة وقواعد دقيقة حسب ظروفهم و أوضاعهم لسعادة دنياهم الفانية وآخرتهم الباقية .و الإمام الغزالي هو رجل ذو فضل عظيم وذات فكرة عظيمة يعبر نظراته القيمة وأفكاره القوية في أعماله الثمينة الضخمة أمثال احياء علوم الدين وميزان العمل وبداية الهداية والأدب في الدين والرسلة اللدنية والقسطاس المستقيم وخلاصة التصانيف في التصوف . وللإمام دراية تامة وتجربة وافرة في التربية . وهي أداة حادة لمواجهة الأوضاع الحادثة والظروف العاجلة . ومن الأمور الملاحظة أن نظرات الإمام وأفكاره تهدينا الى دروب جديدة . إن الإمام الغزالي لايغادر إطارا من التربوية الا وخطا فيها خطوات واسعة .

وفي العصر الراهن سارفي خطاه المفكرون غير المسلمين في التربية . لقد اقترح مجلس كيرلا للدراسة العليا اعادة هيكلة المنهج الدراسي لمستوى البكالوريوس تحت رئاسة السيد بي ، ن ، بنيكار المحترم (الرئيس السابق لمجلس كيرلا للدراسة العليا .) وهذه محاولة لاستعداد الطلبة لتعلم مدى لحياة ولفت انتباههم الى مجال الواسع للمعرفة ضمن حقلهم المتخصصة . يقول دكتور شمناد ن في كتابه المتدولجيا للعربية " إن فصل المتدولجيا أو علم المنهج عنصر مكمل من المنهج الجديد . ومن المستحيل أن يتعلم كل شيءضروري داخل الصف ضمن الوقت المحدود . فيوجه فصل المتدولوجيا الطلبة الى الوقوف علي منهج اللغة العربية ومجالاتها المختلفة . وهذا يزود لهم السياق الأكبر ونظرة المتدولوجيا الخلفية لدراسة العربية وأدبها شاملا في المستقبل ".[٢]

حيث أن المتدولوجيا من ضمن منهج

الدراسي في العصر الحاضر لا بد أن نهتم بأفكار الغزالي في القرن الخامس . وجدير بالذكر أن الغزالي قد ناقش في تصنيفاته عن المتدولوجيا . وهو يفتح أمامنا بابا جديدا الذي يقودنا الى أعلى درجات التربوية في العصر الراهن . ونظره جدير بالبحوث والمناقشات . لأن الحاذقين في إطار التربوي قد دخلوا لفتح العلوم والفنون مع أنهم سافروا في دروب واسعة للطلبة الذين هم راغبون في نيل السعادة في ضمن وقت قصير . تبعا بالبحوث والإختراعات اقترح علما ء التربوية على اضمام المتدولوجيا في المنهج الدراسي لكل من تلقي تحت الجامعات في ولاية كيرلا ، الهند ، لكشف المعلومات التي تنتمي بكل فن .

احتوى المتدولوجيا على الموضوعات تحت المظلة الفيلسوفية لأن الطلبة لايقدرون أن يبذلوا أوقاتهم الثمينة طيلة حياتهم في موضوع واحد . لأن الطالب واجب عليه أن يطلععلى أهمية الموضوع في حياته ونمكن أن نر فى الأخبار "أفضل العلم علم الحال وأفضل العمل حفظ الحال "[٤]

وهذا االخبر يحث الطالب ان يدرس في حياته الأهم ثم الأهم . بل إنما الطالب يعتبر سنه . يقول الله تعالى في قرانه الكريم " وما اوتيتم من العلم إلا قليلا

وهذه الآية تدل على قدر علم الإنسان على أن العلم بالنسبة الى الإنسان هو قليل . وإن الإنسان العاقل يهتم باقتباس العلوم من حيث يحصل . ولذا يلفت نظر الطالب الى فهم العلوم الظواهرعن المادة . ان كان الطالب راغبا في مزيد من المعلومات فله فرصة كثيرة في نيلها .وقد سنح الإمام الغزالي للطلبة ارشادات ذات قيمة بحيث أن الطالب تمنح التسهسلات الملائمة له .وذم الامام الطلبة الذين يرغبون عن العلم والبحث . ويبين الإمام الغزالي أيضا بيئة الباحثين الذين لايبذلون جهدهم في البحوث العميقة بينما يناقش عن النفس والروح الإنساني. في العصر الراهن ينبه الباحثون الى أفكار الغزالي و نظراته في التربية . لأن التربية في العصر الحديث هي أداة بلا حادة , صارت التربية أداة بلا أدب .، أداة بلا قيمة ، أداة بلا مروءة ، ليس هنا آذان وليس هنا أعين التي تفقه بهن . وإن التربية قد صارت أداة نخرة وليس فيها حياة وقوة .

والمتدولوجيا يلح الطالب على أن ينتقل الى مقصوده بحيث يحصل له فرصة لتفاهم متنوعات العلوم والفنون حتى صار حاذقا وماهرا وقادرا أن يختار الموضوعات للبحث أو التعليم العالي . يريد الإمام الغزالي أن يكون الطالب الوقوف على العلوم المتنوعة من غير تعمق وتبحر أولا .

يقول الإمام الغزالي رحمه الله في كتابه "ميزان العمل " تحت عنوان وظائف المتعلم والمعلم في العلوم المسعدة ، "الوظيفة الخامسة : للمتعلم أن لا يدع فنا من فنون العلم ونوعا من أنواعه إلا وينظر فيه نظرا يطلع به على غايته ومقصده وطريقه . ثم إن ساعده العمر واتته الأسباب طلب التبحر فيه . فإن العلوم كلها متعاونة مترابطة بعضها ببعض ويستفيد منه في الحال حتى لايكون معاديا لذلك العلم بسبب جهله به فإن الناس أعداء ما جهلوا "[٥]

الإمام الهمام حجة الإسلام ابو حامد الغزالي يسوقنا الى العالم الحديث . فإن الطالب واجب عليه الوقوف على ما يحتاج اليه من العلوم والفنون بحيث يحصل له الدراية العامة عن الموضوعات المختلفة التي تتعلق به . فإن هذه المقدمة

سوف تمهد السبيل لحصول غمارة العلوم وكذا يسهل له أن يغوص في قعر بحارها حتى يغرق منها الدرر واللؤلؤ والمرجان . أقر الإمام الغزالي أن العلوم متنوعة . لايمكن أن يحصل على هذه العلوم الا بمقدمات . بالنسبة الى علم التوحيد لاسيما القرآن الكريم لايحصل عليه إلا بمقدمات كثيرة . ويتولد عن علم التوحيد علوم آخر .يقول الإمام الغزالي في كتابه الرسالة اللدنية " فعلماء علم التوحيد الاطلاق هم الأنبياء وبعدهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وهذا العلم وان كان شريفا في ذاته كاملا في نفسه لاينفي سائرالعلوم بل لايحصل الا بمقدمات كثيرة ، وتلك المقدمات لاتنتظم الا من علوم شتى مثل علوم السماوات والأفلاك وعلم جميع المصنوعات ، ويتولد عن علم التوحيد علوم آخر كما سنذكر أقسامها في مواضعها".[٦]

قد أجمع المفكرون البارزون والعلماع العظماء على أن الإمام الغزالي قد أطرف طرقا فائقة سمية بحيث سار خطاه العلماء التربويون . وإن من الأمور الخاطرة أن الإمام الغزالي قد علق علما من العسجد في قلوب العلماء العمالق والعباقرة العالمية في التربوية . انتماء الغزالي رحمه الله تعالى الى المتدولوجيا قد حصل لنا المامه القوي في الدروب العلمية والمعرفة. . الآن ازدهرت أفكار الغزالي الأنيقة ، فاحتمنها الرائحة الطيبة والرائحة المريحة ، وشم بها بعض العقلاء واقتضب بعضهم من أغصانه الضليعة واقطفوا منها الأهار والأنوار .

المصادر والمراجع

١ اللغة العربية مناهجها وطرائق تدريسها ص ١٨ د. طه علي حسين الدليمي و الكتورة سعاد عبد الكريم عباس الوائلي استاذ مناهج اللغة العربية وطرائق تدريسها في كلية العلوم العربية \ الجامعة الهاشمية وكلية التربية \ جامعة بغداد

٢ www.arabency.com

٣ د.شمناد.ن، الأستاذ المساعد ، قسم اللغة العربية ، كلية الجامعة ، ترونتبرم ص ٧المتدولوجيا للعربية ، مكتبة الهدى ، كالكوت .

٤ السرنوجي - تعليم المتعلم ص ١

٥ الإمام الغزالي الرسالة اللدنية ص ٥٩ دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الرابعة ٢٠٠٦

٦ الإمام الغزالي ميزان العمل ص ١١٨ المطبعة العربية بمصر ،الطبعة الثانية ١٣٤٢

الهـــــوامش

١ اللغة العربية مناهجها وطرائق تدريسها ص ١٨ د. طه علي حسين الدليمي و الدكتورة سعاد عبد الكريم عباس الوائلي استاذ مناهج اللغة العربية وطرائق تدريسها في كلية العلوم العربية \ الجامعة الهاشمية وكلية التربية \ جامعة بغداد .

٢ www.arabency.com

٣ شمناد . ن الأستاذ المساعد ، قسم اللغة العربية ، كلية الجامعة ، ترونتبرم ص ٧المتدولوجيا للعربية

٤ السرنوجي - تعليم المتعلم ص ١

٥ الإمام الغزالي الرسالة اللدنية ص ٥٩

٦ الإمام الغزالي ميزان العمل ص ١١٨